

الذات الإنسانية في فلسفة محمد إقبال

أ.د. الشريف زيتوني

جامعة الجزائر 2

يكشف القارئ للنص الإقبالي عمقا فلسفيا ينبض حياة، وحيوية متأتية من روح تضم في جنباتها تجربة كونية ضاربة في أعماق تاريخ الفكر الكوني بمنابعه المتعددة، وفلسفاته المختلفة، فقد اطلع محمد إقبال على تاريخ الفكر الإنساني، واصطفى منه ما يمكن أن يشكل فلسفته، الديناميكية، نهل من القرآن، وعرف فلسفة الشرق القديم، واليونان، والفلسفة الإسلامية، والمسيحية الوسيطية، والغربية الحديثة والمعاصرة، وحاور الفلاسفة، والمتكلمين، والمتصوفة ... وعاش الأمم المعاصرة، من ذلك شكل نظرتهم الفلسفية إلى الكون، والحياة، والإنسان، وقد تحدث عن كل ذلك في أعماله الفكرية، والشعرية، وأكثر ما أهاله في هذا الكون هو وضعية الإنسان المعاصر، إذ وجده وضعا قلقا، متخلفا، وأكثر ما أغضبه هو وضعية الإنسان في المجتمع الإسلامي المعاصر، بسبب الإمكانيات الفكرية، والمادية المتوفرة لديه، ولكن مع ذلك، يعيش على هامش التاريخ، ومتخلف حضاريا، كل ذلك دفعه إلى أن يفكر في الذات الإنسانية، وقوتها، وقدراتها المعرفية، وحريتها، وميلها نحو تغيير الواقع، فكانت هي الأساس الذي أقام عليه فلسفته الإحيائية برمتها، فما هو مفهوم الذات الإنسانية؟، وكيف تكتسب قوتها، وما نصيبها من المعرفة والحرية؟ ذلك ما سوف نبيه في النقاط التالية:

- دلالة الذات في فلسفة محمد إقبال

- خلافة الإنسان

- المعرفة وفهم الكون

- حرية الذات الإنسانية

1- دلالة الذات

إن الذات أو ((خودي)) هي الفكرة المحورية التي أنشأ عليها محمد إقبال فلسفته الإحيائية التي تعد موقفا متفردا في الفلسفة الإسلامية المعاصرة من حيث دعوتها إلى قوة الذات الإنسانية، وحريتها، ومكانتها في هذا الكون. وأول ما يجلب انتباه القارئ لهذه الفلسفة، هو اختيار محمد إقبال لكلمة ((خودي)) بدل كلمة الذات ليعبر بها عن فلسفته الذاتية، فلماذا أختار هذه الكلمة الفارسية بدل كلمة الذات؟

يبدو - من وجهة نظر محمد إقبال - إن كلمة ((خودي)) تؤدي المعنى المطلوب للهدف الذي كان يرغب في تحقيقه. وقد كان اختياره لهذه الكلمة صعبا وشاقا، وقد عبر عن ذلك في

قوله: ((أخترت كلمة خودي بصعوبة بالغة، وبجهد شديد، فمن وجهة النظر الأدبية فيها العديد من المثالب ونواحي النقص، ومن الناحية الأخلاقية، تستعمل عادة في كل من الفارسية والأردو بمعنى سيء، وكذلك مع الكلمات الأخرى للحقيقة العينية لكلمة ((أنا))، فكلها على نفس الدرجة من السوء، مثل ((أنا))، شخصي، أنانية، أما المطلوب فكان كلمة لمعنى الذات لا لون لها، وليس لها مدلول أخلاقي معين، وعلى علمي ليس هناك مثل هذه الكلمة لا في الأوردو، ولا في الفارسية، فكلمة ((خودي)) في الفارسية على نفس القدر من السوء، ومع ذلك، وحرصاً على متطلبات الشعر، فقد ألفت أن كلمة ((خودي)) أكثرها مناسبة، وفي الفارسية بعض الشواهد أيضاً على استعمال كلمة ((خودي)) للتعبير عن الذات في معنى بسيط، أي للتعبير عن حقيقة ((الأنا)) البسيطة، ومن ثم، ومن الناحية الغيبية تستعمل كلمة ((خودي)) بمعنى محايد للشعور ((بالأنا)) الذي يكون القاعدة الوحيدة لدى كل فرد وهي لا تفصح من الغيبية عن أي دلالة أخلاقية، لأولئك الذين لا يستطيعون التخلص من مدلولها الأخلاقي))¹.

ويتضح من هذا النص صعوبة البحث عن كلمة تؤدي المعنى المناسب للتعبير عن الذات، وقوتها، ولكنه رأى في النهاية أن الكلمة الفارسية ((خودي)) على سوتها يمكن أن تؤدي المعنى المناسب، أي يمكن أن تعبر عن حقيقة ((الأنا)) بمعناها المعبر عن حقيقة الفرد، الشخصية، وقد عرفها في موضع آخر بقوله: ((ينبغي أن يعلم القراء أن لفظ ((خودي)) لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأثرة كما تستعمل في اللغة الأوردية غالباً، وإنما بمعناها الإحساس بالنفس أو تعيين الذات))².

إن انتقاء محمد إقبال لكلمة (خودي) بالرغم من تساويها مع الكلمات الأخرى، كونها على نفس القدر من السوء، إلا أنها تبدو أكثر ملاءمة للتعبير عن الذات في بساطتها، وقوتها، وتعينها، وهي بذلك، تكون الأصل الذي يعرف به الإنسان نفسه، ويحس بوجوده في الكون، ويبني حياته ويقويها اعتماداً على وسائله الخاصة، وبما يملك من مواهب، ومن ثم فقط، يستطيع أن يؤثر في الكون، وفي المجتمع الإنساني، ولذا، فإن إقبالاً اختار كلمة (خودي) الفارسية ليعبر بها عن قوة الذات الفردية، أو بمعنى آخر عن قوة الشخصية الفردية التي تملك إمكانات تساعد على تخطي العقبات والصعاب التي تعترضها في هذا العالم المتعدد الأبعاد، لهدف سام وهو بناء، وتعمير الكون، وتوجيهه توجيهاً يخدم الرسالة التي خلق لأجلها الإنسان وهي الاستخلاف في الأرض.

- نقلاً عن محمد معوض، محمد إقبال، حياته وآثاره، مرجع سابق، ص 330.¹

- محمد إقبال، أسرار الذات، ورموز نفي الذات، مصدر سابق، ص 11.²

2 - خلافة الإنسان

إن الإنسان في التصور الإقبالي، هو قبس من النور الإلهي الذي لا ينتمي إلى أي بقعة في هذا الكون، ولا إلى جنس من أجناس العالم الإنساني، ويتضح ذلك من خلال قوله: ((إن آثار العشق ظاهرة هنا وهناك، في كلا العالمين - الإنسان سر من أسرار العشق لا ينتمي إلى عالم الأرحام فهو ليس من حام ولا سام، أو الروم والشام))³. وفحوى ذلك، هو أن الإنسان بهذا التحديد الروحي، غير مرتبط بوطن من الأوطان، أو بجنس من الأجناس البشرية، وبذلك فهو متحرر من قيود المكان، ووجوده متواصل لا ينتهي إلا بقيام الساعة التي ينتقل فيها إلى العالم الآخر، وبذلك، فإنه ينال الخلود، ومن ثمة، فإن خلافته لا تقتصر على الأرض فحسب، بل تشمل الأرض والسماء والكون كله، ومن هنا، تكون منزلته في الوجود من الرقي ما يجعله مرتبطاً بغايات ومقاصد غير موجودة في الكائنات الأخرى، بل أن هذه الكائنات تستمد قيمتها واعتبارها من وجوده ذاته. يقول محمد إقبال في ذلك: ((وجوده يعطي قيمة واعتباراً للكائنات، واعتداله هو محك الكائنات وعيارها))⁴. وهذا موقف مستلهم من قوله تعالى: ((ولقد كرّمنا بني آدم))⁵، فمكانة الإنسان في هذا الكون تتعالى على مكانة الكائنات الأخرى، ولا شك في أنه جدير بها، لأنه الوحيد الذي يملك مواهب وقدرات تمكنه من وضع المفاهيم، والمعاني لكل الموجودات، التي تصير بها ذات طابع إنساني، الأمر الذي يجعلها منسجمة مع الغايات والمقاصد التي يحددها الإنسان، وبالتالي فمن غير المعقول - من وجهة نظر محمد إقبال - ألا تستمد قيمتها واعتبارها من وجوده.

للإنسان في الفلسفة الذاتية لمحمد إقبال رحابة صدر تجعله يحتوي العالم ويحيط به، وليس في مقدرو العالم أن يستوعبه، وقد جاء ذلك واضحاً في قوله: ((ماذا أقول عن بحر الذي لا ساحل له، وعن قلبه الذي تغرق فيه العصور والدهور، هو الشيء الذي في الإنسان ويحيط بالعالم، هو الشيء الذي لا يجعل العالم يحتوي الإنسان))⁶، كم هي واسعة مساحة الروح الإنسانية في التصوير الإقبالي. ألا ينتبه إليها الإنسان المعاصر لكي يخرج من قفص الأنانية التي جعلته أدنى من مكانته الحقيقية، ويرى الكون بروح التسامي عن الحقد، والكراهية، والضغينة، ويحب الوجود في جماله، وكماله، وانسجامه، ويراعي إنسانية الإنسان التي لا تقبل التشييء، ولا تروم العيش في وحل المادة، وترفض أن تعيش في هذا العالم لا واعية، ولا مريدة، وبالتالي لا مكلفة ولا مسئولة.

³- محمد إقبال، رسالة الخلود، مصدر سابق، ص 152.

⁴- المصدر السابق، ص 153.

⁵- قرآن كريم، سورة الإسراء، آية 70.

⁶- محمد إقبال، رسالة الخلود، مصدر سابق، ص 154.

إن وعي الإنسان بمكانته التي حددها القرآن، هو الشرط الأساس الذي يجعله يحترم ذاته، ويقدرها حق قدرها، ويشعر بأنها ليست ملكا لأحد غير الله، وبذلك تتأكد حرية الإنسان، وجدارته، فيتحرك لبناء عالمه الجديد الذي يخلو من أسباب الذل والخضوع، ويفوز بحريته، ويتخلص من قيود نفسه، فيتحرر من الأغلال، وبذلك فقط، يثبت إنسانيته.

3- المعرفة وفهم الكون

في نظر محمد إقبال يكون تحصيل المعرفة بمختلف فروعها واجبا ضروريا، بل فرضا على المؤمن لكي يتبصر حقائق الكون، ويفهمها، وبعد ذلك يسخرها لمآربه الحياتية، ومن ثم، يكون للمعرفة فوائد جمة، وقد جاء ذلك واضحا في قوله تعالى: ((يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب))⁷، ولفظ الحكمة جاء في فلسفة محمد إقبال الإحيائية بمعنى العلم بمعانيه الواسعة أي العلم، والفلسفة، والفن، وبعبارة جامعة علم الأنفس والأفاق⁸. وبهذا المعنى تكون المعرفة هي الأداة الموصلة إلى فهم سنن الكون فهما صحيحا، فيتمكن الإنسان من الاستمتاع بخيراته، ويبنى حضارة متكاملة ومتوازنة، وقد استدلل إقبال على دور المعرفة وأثرها في بناء الحضارة الإنسانية بالحضارة الغربية التي وصلت باعتمادها على وسائل النظر في الكون إلى منزلة عالية من القوة المادية فصارت متحكمة في العالم، غير أنه يعيب عليها إفراطها في الاعتماد على الجانب المادي وحده، الأمر الذي جعلها لا تنجح في تحقيق المطالب الإنسانية، بسبب ارتكازها على العقل الأدوات، إذ وجدناه يقول: ((إن الإنسان العصري، وقد أغشاه نشاطه العقلي، كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحية الكاملة أي إلى حياة روحية تتغلغل في أعماق النفس. فهو في حلبة الفكر في صراع صريح مع نفسه، وهو في مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية في كفاح صريح مع نفسه غير قادر على كبح أثرته الجارفة، وحبه للمال حبا طاغيا يقتل كل ما فيه من نضال سام شيئا فشيئا، لا يعود عليه منه إلا تعب الحياة. وقد استغرق في مظهر الحس الظاهر للعيان، فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده))⁹. ويتضح من هذا النص خوف إقبال من الإفراط في التعويل على العقل وحده في توجيه الحياة، إذ إن ذلك في منظوره يؤدي إلى خلل بصيب ذات الإنسان، ويعطلها عن النظر إلى سمو وجودها، واعتدالها في كل شيء، ويجعل الحياة الاجتماعية عديمة الاستقرار بسبب ما تتطلبه من نشاط سياسي، واقتصادي مبني على صراع، يتخذ من مبدأ الأنانية أساسا له، فتحل القوة محل الحق، والظلم محل العدل. والأمر الذي يجعل العقل معتدلا، ومتوازنا، يراه إقبال في الدين، والأخلاق، أي في التزاوج بين مطالب العقل والدين. ولهذا نجده في موضع آخر يدعو إلى ربط العلم بنور

⁷- قرآن كريم، سورة البقرة، آية 269.

⁸ - محمد إقبال، رسالة الخلود، مصدر سابق، ص 160.

⁹- محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، مصدر سابق ص 215.

الدين، حيث يقول: ((وإذا ربط العلم قلبه بالله، كان نبوة وأصبح رحمة للعالمين، أما إذا ابتعد العلم عن الحق تحول إلى كفر)) ووبال على بني الإنسانية، ((فالعلم بدون حرقة القلب شر محض، نوره ظلمة للبحر والبر فهو جعل نور الدنيا ظلاما ويصيب العالم بكارثة..)). ولهذا فالعلم إذا ابتعد عن الدين فإنه يتحول إلى نقمة، وأما إذا دعم بالدين فإنه يكون مصدر نعمة، وخير كثير لبني الإنسان. إن المعرفة المتوازنة في نظر محمد إقبال هي التي تجعل المسلم، يفهم بأن الإسلام لا يوجد فيه شيء يعارض عمله على تجاوز العقبات والمشكلات التي تجعله يمارس حريته التي منحها له الله، فهو (إقبال) يرى بأن دوام الشخصية يكمن في العمل لا في الاسترخاء، والحياة كلها في تطور متواصل تسخر كل الصعاب التي تعترض طريقها. وحقيقتها أن تخلق دائما مطالب ومثلا جديدة، وقد وجدت من أجل إنسانيتها وترقيتها أدوات كالحواس الخمس، والقوة المدركة لتقهر بها العقبات، وخاصة المادة أو الطبيعة التي تعد من وجهة نظره أشد العقبات التي تعترض الحياة، فهو يراها عقبة وليست شرا كما يقول ((فلاسفة الإشراق))، بل أنه يعتبرها أداة تعين الذات على الرقي، ولهذا، فإن الذات إذا استطاعت أن تتغلب على العوائق التي تعرضها، فإنها تبلغ مرتبة الاختيار. والواقع أن مرتبة كهذه، ليست أمرا ميسورا لكل إنسان، بل أن تحصيلها لا يكون إلا بالصبر، والمثابرة على تحمل المتاعب، والمصاعب التي تعترض الذات الإنسانية في عملها على بلوغ مرتبة الاختيار.

4 -- حرية الذات الإنسانية

يبدو أن لمحمد إقبال في مسألة الحرية الإنسانية رأيا متميزا عن باقي المواقف المعروفة في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي، إذ إنه، يرى في التعارض بين الذات الإلهية اللانهائية في كل شيء، والذات الإنسانية النهائية في كل شيء، وهو التعارض الذي أوجد نقاشا حادا بين دعاة القول بالحرية الإنسانية والذين قالوا بنفيها واعتبروا الإنسان كائنا مجبورا في أفعاله خاضعا مستسلما للقدرة الإلهية، وقد بدا له أن هذا النقاش يعود أصلا إلى طغيان النظر العقلي المجرد الذي حجب عن أنظار الناس ما للحياة من تلقائية التي هي حقيقة من حقائق التجربة العينية، التي تؤكد وجود تعارض بين الذات الإلهية والذوات الأخرى، غير أن هذا التعارض يزول حينما نعرف بأن الذات الإلهية هي التي شاءت أن تنتقي بعض الذوات المتناهية لتقاسمها القدرة، والاختيار، ولا شك - في منظوره - أن وجود ذوات لها قدرة على الفعل بتلقائية، بصورة لا يمكن توقعها، يتضمن نوعا من التحديد لحرية الذات الإلهية المحيطة بكل شيء، غير أنه (إقبال) يقول: ((ولكن هذا التحديد لم يفرض على الذات الأولى - ذات الله - من خارج، بل نشأ عن حريتها الخالقة التي شاءت أن تصطفي بعض الذوات المتناهية لتقاسمه في الحياة والقوة والاختيار))¹⁰، ولذلك، فإن الإرادة الإلهية هي التي أوجدت في

¹⁰ - المصدر السابق، ص 94.

الإنسان إرادة حرة تعمل ضمن الحدود الإنسانية. ولكي يبين محمد إقبال هذه الحرية التي أنعم بها الله على الإنسان لجأ إلى قصص القرآن، وتحديدًا قصة هبوط آدم من الجنة، ويحاول أن يعطي لها معنى يختلف عن المعنى الذي جاء في الفلسفة المسيحية، إذ إنه، يرى أن المقصود من الهبوط هو بيان ارتقاء الإنسان من الحياة الغريزية إلى الشعور بذاته، وبقدرتها على الشك، والعصيان، وليس المقصود منها - كما جاء في المسيحية - أي فساد أخلاقي، بل هو انتقال الإنسان من الشعور البسيط إلى ظهور أول بارقة من بوارق الشعور بالنفس، وهو نوع من اليقظة من حلم الطبيعة أحدثتها خفقة من الشعور بأن للإنسان صلة عليا شخصية بوجوده، ولهذا، فالمعصية الأولى للإنسان كانت أول فعل تتمثل فيه حرية الاختيار¹¹. وينبغي أن نعرف أيضا أن عمل الخير، من وجهة نظر إقبال ليس قصرا بل هو خضوع عن طواعية للمثل الأخلاقي الأعلى خضوعا ينشأ عن تعاون الذوات الحرة المختارة عن رغبة ورضا¹².

إذن، فالفعل الذي يصدر عن الإنسان لا بد أن يكون مبنيا على إرادة حرة مختارة. غير أن محمد إقبال ولكي يبين ما يمكن أن ينتج عن القول بحرية الإنسان، فإنه يناقش هذه المسألة من زاوية فلسفية، إذ إنه، يرى أن القول بقدرة الإنسان على اختيار أفعاله تنشأ عنه معضلة عويصة تتمثل في أن قدرته على اختيار الخير تتضمن كذلك حرية اختيار عكسه. ولكي يحل هذه المعضلة، فإنه (إقبال) يرى بأن هذا أمر إلهي أيضا، إذ إن، المشيئة الإلهية هي التي اقتضت ذلك، وهذا دليل على ما لله من ثقة في الإنسان، ويبقى عليه (الإنسان) أن يثبت جدارته، ويبرهن على أنه أهل لهذه الثقة¹³.

والحقيقة الأخرى التي يستخلصها محمد إقبال من قصة هبوط آدم من الجنة، وتبدو ضرورية ومكلمة لمسألة ممارسة الإنسان لأفعاله الحرة، تتمثل في أن النفس الإنسانية تنشد المعرفة أو كما جاء في القرآن بأن الإنسان يسعى وراء ((ملك لا يبلى))، ومن المعروف أن آدم حرم أكل ثمرة الشجرة على أساس أن قواه العقلية والحسية ليست مهيأة لذلك، بل أنها مهيأة لنوع آخر من أنواع المعرفة، وهو النوع الذي يقتضي الكد في معاناة الملاحظة اللازمة لتحصيل المعرفة التي لا يمكن أن تأتي دفعة واحدة وبصفة كلية، وطمعا في اكتساب معرفة جامعة، تجرأ تحت تأثير غواية الشيطان، فأكل الثمار المحرمة من شجرة المعرفة، وهذا يفسر تسرع آدم في أن يحصل على المعرفة بطريقة قصيرة، فكان السبيل الوحيد لصقل هذا النزوع هو أن يهبط إلى هذا العالم الدنوي المملوء بالمتاعب، وهو عالم بالرغم مما فيه من الآلام، يعد مكانا ملائما لإبراز قواه العقلية. ولكي يبين محمد إقبال هذا الأمر، فإنه يلجأ إلى أحد المتخصصات في فك الرموز القديمة وهي (بالفاتسكي) BALVATSKI التي قالت في كتابها ((المذهب السري)): ((إن الشجرة كانت عند القدماء رمزا خفيا على علم الغيب.

¹¹ - المصدر السابق، ص 94.

¹² - المصدر نفسه ص 99

¹³ - المصدر نفسه، ص 100.

وواضح أن آدم حرم عليه أن يذوق ثمر هذه الشجرة، لأن تناهيه من حيث هو نفس، ولأن عتاده الحسي وقاه العقلية كل ذلك، بصفة عامة، مهيباً لنوع آخر من أنواع المعرفة، هو النوع الذي يقتضي الكد في معاناة الملاحظة، ولا يقوى على التجمع البطيء. ولكن الشيطان أغوى آدم على أن يأكل الثمرة المحرمة من شجرة المعرفة وانقاد له آدم، لا لأن الشر كان متأسلاً في نفسه، ولكن لأنه كان عجولاً بطبعه أراد أن يحصل المعرفة من أقرب طريق. وكان السبيل الوحيد لتقويم هذا الميل فيه أن يوضع في بيئة، مهما تكن مؤلمة له، فإنها كانت أكثر ملاءمة لإبراز قواه العاقلة¹⁴. وعلى هذا الأساس، فإن الفكرة المعروفة عن هبوط آدم من الجنة، والقائلة بأن ذلك كان عقاباً له، ليست صحيحة، لأن الله قد غفر لآدم ويتضح ذلك في قوله تعالى: ((فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فأكلا منها، فبدت سوءاتهما، وطفقا يخصفاً عليهما من ورق الجنة، وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتابه ربه فتاب عليه وهدى)¹⁵، وإذا كان الله قد غفر لآدم فإن هبوطه (آدم) إلى العالم المادي - من وجهة نظر إقبال - ليس فيه ما يشير إلى عقابه، ((بل كان المراد به بالأحرى القضاء على صد الشيطان الذي احتال - بسبب عداوته للإنسان - بلين القول على أن يبقيه جاهلاً للنعيم الذي ينشأ عن النمو والامتداد الخالدين. ولكن بقاء ذات متناهية في بيئة كؤود يتوقف على التزايد المستمر للمعرفة القائمة على التجربة الواقعة. وتجارب هذه الذات المتناهية التي تقسح أمامها إمكانات عدة. إنما تزداد وتتسع، بطريقة المحاولة والخطأ. وعلى هذا فإن الخطأ الذي قد يوصف بأنه نوع من الشر العقلي عامل لا محيص عنه في بناء التجربة¹⁶)).

يتجلى مما تقدم أن محمد إقبال أراد أن يبين من وجهة نظر قرآنية وفلسفية، أن للإنسان حرية إرادة وقادر على اكتساب المعارف وتوظيفها، وامتلاكه لهذه القدرات المتناهية ليس فيه شيء يعارض الذات الإلهية المطلقة واللانهائية في إمكاناتها. هذه الذات التي أوجدت آفاقاً واسعة للإنسان ليعمل أكثر على بلورة إرادته، وتقوية مداركه، فتزداد قوة على فهم العالم الذي يتجدد باستمرار، ولهذا فالعمل على شحذ مداركه وتوسيعها، وتحقيق إرادته هي من الأمور التي شاءت القدرة الإلهية أن تمنحها له، وعليه، فأقدام الإنسان على فعل الخير يجعله جديراً بالأمانة العظمى التي قال عنها القرآن بأن السموات والأرض، والجال أبت أن تحملها. كما جاء في قوله تعالى: ((إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً))¹⁷، فكيف لا يكون الإنسان بهذا التكليف، وهذه الثقة، عارفاً، وحرراً، ومسئولاً؟ وكيف لا يكون قادراً على تكييف مصير

¹⁴- أورده محمد إقبال في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام، مصدر سابق ص 100.

¹⁵- قرآن ريم، سورة طه، آية، 120 - 122.

¹⁶- محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، مصدر سابق، ص 1001.

¹⁷- قرآن كريم، سورة الأحزاب، آية 93.

نفسه، ومصير العالم بعمل مزدوج، أحدها داخلي يمس ذاته، والآخر خارجي يمس العالم؟ يقول إقبال: ((لقد قدر على الإنسان أن يشارك في أعرق رغبات العالم الذي يحيط به، وأن كيف مصير نفسه ومصير العالم كذلك، تارة بتهيئة نفسه لقوى الكون، وتارة أخرى ببذل ما في وسعه لتسخير هذه القوى لأغراضه ومراميه))¹⁸. ولذلك، فإن روح التغيير تبدأ أولاً من الذات، لتنتسح إلى تغيير العالم الخارجي، فلا يعقل أن يقدم الإنسان على تغيير ما حوله من دون أن يبدأ بنفسه أولاً، ذلك هو المنهج التغييري الذي يدافع عنه محمد إقبال ويتجلى ذلك واضحاً في قوله: ((وفي هذا المنهج التغييري التقدمي لا يكون الله في عون المرء شريطة أن يبدأ هو بتغيير ما في نفسه)) وقد وجدناه في ذلك يستند إلى قوله تعالى: ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))¹⁹.

مصادر ومراجع المقال

- القرآن
- محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة: عباس محمود، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1967.
- محمد إقبال، اسرار الذات محمد معوض، محمد إقبال، حياته وآثاره، ونفي رموز الذات، ترجمة: عبد الوهاب عزام، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1956.
- محمد إقبال، رسالة الخلود، (جاويد نامة)، ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، مطابع سج العرب، القاهرة 1975.
- محمد معوض، العلامة محمد إقبال، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1980،

¹⁸- محمد تجديد التفكير الديني، تجديد في الإسلام، مصدر يسابق، ص 19

¹⁹- قرآن كريم، سورة الرعد، آية 11.